الآية بثبوت الدلالة والآيات كلهن وحكم آية واحدة في ذلك ثم قال
أولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات إن كانوا طالبين للحق غير
متعنتين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان
فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها
وتكون في مكان دون مكان إن في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان
إلى آخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة لا تشكر وتذكرة لقوم يؤمنون
وقيل أولم يكفهم يعني اليهود أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم تحقيق
ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك وقيل إن ناسا من المسلمين أتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما
نظر إليها ألقاها وقال كفى بها حماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا
عما جاء به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرنا كفى بالله
بيني وبينكم شهيدا أني قد بلغتكم ما أرسلت به إليكم وأنذرتكم
وأنكم قابلتموني بالجحد والتكذيب يعلم ما في السموات والأرض فهو مطلع على
أمري وأمركم وعالم بحقي وباطلكم والذين آمنوا بالباطل منكم وهو ما تعبدون
من دون الله وكفروا بالله وآياته أولئك هم الخاسرون المغبونون
في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان إلا أن الكلام ورد مورد الإنصاف
كقوله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين وكقول حسان
فشركما لخيركما الفداء
وروي أن كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بأنك رسول
الله

رسول الله فنزلت كان استعجالهم العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحرث
هو الذي قال اللهم أمطر علينا حجارة من السماء كما قال أصحاب الأيكة فأسقط
علينا كسفا من السماء ولولا أجل قد سماه الله وبينه في اللوح المحفوظ لعذابهم
وأوجبت الحكمة تأخيره إلى ذلك الأجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا والمراد بالأجل
الآخرة لما روي أن الله عز وجل وعد رسوله أن لا يعذب قومه ولا يستأصلهم
وأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بالآجال
لمحيطة أي ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب وهي محيطة بهم في الدنيا
لأن المعاصي التي توجبها محيطة بهم أو لأنها مآلهم ومرجعهم لا محالة فكأنها
الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر أي يوم يغشاهم
العذاب كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت أرجلهم كقوله لهم من فوقهم
ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ونقول قرئ بالنون والياء ما كنتم تعملون
أي جزاءه معنى الآية أن المؤمن إذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه
ولم يتمش له أمر دينه كما يحب فليهاجر عنه إلى بلد يقدر أنه أسلم قلبا
وأصح دينا وأكثر عبادة وأحسن خشوعا ولعمري إن البقاع تتفاوت
في ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب أولونا فلم نجد فيما جربنا
ودارنا أعون على قهر النفس وعصيان الشهوة وأجمع للقلب المتلفت
وأضم للهم المنتشر وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من كثير من الفتن
وأضبط للأمر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فلله
الحمد على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر وأوزع من الشكر

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)